وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الثالث

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN: 9789922778341

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) – الطبعة الأولى – كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. – (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – في القرآن – مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) – دراسة.
٤. الإسلام والسياسة – مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) – مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع – مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثالث، (٥٣٨ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام – الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٣) – لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الأثرُ القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنيّة جامعيّة القرآن انموذجًا ١١

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

تأثيرُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ والعلومِ القانونيّةِ..... ٤١

أ.م.د إقبال عبد الله أمين

الأبعاد القرآنيّة الأخلاقيّة والإيقاعيّةفي حِكَمِ الإمام عليّ عليه السلام..... ٦٣

أ. م. د. تومان غازي حسين فتات الخفاجي

الاستراتيجياتُ القرآنيّة في خطبِ الحربِ والجهادِ للإمامِ عليّ عليه السلام قراءةٌ استشرافيّة ١١٣

أ.م.د. رحيق صالح فنجان

الموجّهات التفسيريّة عند الإمام عليّ عليه السلام ١٣٣

أ.م. د. رياض عبد الرحيم حسين

أثر القيم الدينيّة في النشاط الاقتصاديّ نموذج القيم الإسلاميّة عند الإمام عليّ عليه السلام .. ١٦٥

أ.م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي/ أ.م.د حسين علي ريس المشهدانيّ

الرقابةُ الاقتصاديّةُ وضمانُ سعي الإنسانِ رؤية في فكر الإمام عليّ عليه السلام ١٨٧

أ.م. د. علاء حسن مردان اللاميّ

الإمام علي عليه السلام مفسِّرا: الغيبيّات أنموذجًا ٢١١

أ.م.د. مها طالب عبد الله الجبوريّ

المنهجُ الاقتصاديّ للإمامِ عليّ عليه السلام من خلالِ القرآنِ الكريمِ والسنّةِ النبويّةِ ٢٣٩

أ.م.د. ميثم عزيز ثجيل الهلاليّ

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) دراسة تحليلية ٢٦٧

أ.م.د. هاشم جبار الزرفي

المسائل القضائيّة للإمام عليّ بن أبي طالِب عليه السلام (ت٤٠ هـ/ ٦٦١ م) في الحدود والقصاص دراسة، فقهيّة، قضائيّة، تأريخيّة، وصفيّة ٢٩٧

أ.م.د. ياسين رشيد الزيباريّ

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني على الخطابة العربية ٣٢١

أ.م.د ماجد مهدي ذياب السلطاني/ م. د. نادية سالم عيسى

المشكلةُ الاقتصاديّةُ والإمامةُ من منظورٍ أقتصاديّ وإسلاميّ معاصرٍ (الإمام عليّ عليه السلام أنموذجا) ٣٤٣

م.د أحمد إبراهيم حسين علي العبيديّ/ م. م. هبة قاسم زويد الموسويّ

الأثرُ القرآنيُّ في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ عندَ الإمامِ عليّ عليه السلام ٣٦٧

م.د أركان ناهي موسى/ م.م ناجح كريم جودة

المرجعيات القرآنيَّة في نهج البلاغة دراسة في ضوءِ تحليلِ الخطابِ قراءة في نماذج .. ٣٩٣

م. د عماد طالب موسى جاسم

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب الإمام عليّ عليه السلام ٤٢٩

م .د. زينة عبّاس فاضل / الباحثة: زينب كامل جواد

الأثرُ الفكري للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تاريخيّةٌ ... ٤٥٩

م. د. زيد كميل جواد سماوي الفتلاوي

لفظةُ (الصادقين) في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تحليليّةٌ ٤٨١

م.د. سرمد محمد بكر / م.م. مرفد محمد بكر

تمثُّلاتُ الشاهدِ القرآنيِّ في نهجِ البلاغةِ..... ٥٠١

م. د. مكاسب عبادي عبود سلمان

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في نشرِ الأخلاقِ الإسلاميّةِ وتعزيزِها دراسةٌ في الحكمةِ والإرشادِ ٥١٩

م. د. مصطفى حسين عبد الرسول

الأثرُ القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنيّة
جامعيّة القرآن أنموذجاً

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي
جامعة شهركرد / جمهورية ايران الإسلامية/ قسم علوم القرآن والحديث

ملخّصُ البحث:

من القضايا المهمّة المتعلّقة بالقرآن جامعيّته، الَّتي قدّم المفكّرون الإسلاميّون منذ البداية وجهات نظرٍ مختلفة حوله؛ الجامعيّة المطلقة في جميع العلوم، الجامعيّة المعتدلة، والجامعيّة الأدنى، من أهمّ وجهات النظر في هذا الصدد، وتواجه كلٌّ من وجهات النظر هذه تحدّيات وانتقادات.

وتنصُّ الآيات والروايات في جامعيّة القرآن على شموليّته في الشؤون الارشاديّة والدينيّة، ولا شيء أو موضوع في الدين أو الهداية إلّا إذا نُصَّ عليه في القرآن؛ ولكن ومن خلال فحص البنية الظاهريّة للقرآنِ يتّضحُ أنّ القرآن ليس شاملًا حتّى في الأمور الدينيّة؛ بمعنى: لا يمكن استخلاص جميع القواعد والمسائل الدينيّة من ظواهرِ القرآن، بينما الآيات وخاصّة الروايات العديدة تعبّرُ عن الجامعيّة المطلقة للقرآن.

وقد ورد في أحاديث الإمام عليّ عليه السلام أساسينِ هامّينِ حول جامعيّة القرآن؛ أوّلهما: أنّ القرآن له جامعيّة مطلقة في الشؤون الإرشاديّة، والأساس الثاني: هو أنّ

جامعيّة القرآن بمعناها المطلق خاصّة بالمعصومين عليهم السلام الذين يدركون ظهرَ القرآن وبطنه.

وتقوم هذه الدراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، بنقدِ وفحصِ نظريّات المفسّرين والمفكّرين الإسلاميّين حول شموليّة القرآن، بالرجوع إلى كلام الإمام عليّ عليه السلام الذي يشرح المفهوم الصحيح لجامعيّة القرآن في بعدينِ، ويُحلِّلُ ويبحثُ موقف الأثر القرآني للإمام عليّ عليه السلام في شرح مفهوم جامعيّة القرآن.

الكلماتُ المفتاحيّة: جامعيّة القرآن، الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، علوم القرآن.

Abstract:

One of the crucial issues concerning the Quran is its comprehensiveness (Jami'iyyah), regarding which Islamic thinkers have presented various perspectives since the beginning. Absolute comprehensiveness across all sciences, moderate comprehensiveness, and minimal comprehensiveness are the most prominent views in this regard, each facing specific challenges and criticisms.

While Quranic verses and narrations (Hadiths) assert the Quran's comprehensiveness in guidance and religious affairs—implying that no religious or instructional topic exists without being addressed in the Quran—an examination of the Quran's apparent structure (Zahir) reveals that it is not exhaustive even in religious matters. That is, not all religious rules and issues can be derived solely from the Quran's literal surface, despite verses and numerous narrations expressing its absolute comprehensiveness.

In the teachings of Imam Ali (PBUH), two fundamental

principles regarding the Quran's comprehensiveness are mentioned: first, that the Quran possesses absolute comprehensiveness in guiding affairs; and second, that this absolute comprehensiveness is exclusive to the Infallibles (PBUH), who perceive both the apparent and the hidden depths (Batin) of the Quran.

Using a descriptive-analytical method, this study critiques and examines the theories of commentators and Islamic thinkers on Quranic comprehensiveness. By referring to the words of Imam Ali (PBUH), the study explains the correct concept of comprehensiveness in two dimensions and analyzes the role of his Quranic legacy in clarifying this concept.

Keywords: Comprehensiveness of the Quran, Imam Ali (PBUH), Nahj al-Balagha, Quranic Sciences.

المقدّمة:

إنّ جامعيّة القرآن من القضايا التي أُثيرَت حول رسالة القرآن وتوقّع الإنسان من الدين، وهناك خلافٌ بين المفكّرين الإسلاميّين حول كمّيّة جامعيّة القرآن وكيفيّتها، ويعود تاريخ إثارة جامعيّة القرآن إلى زمن الصحابة[١]، وطبعًا منذ عهد الإمام عليّ عليه السلام[٢] والأئمّة من بعده[٣] قيلت بعض الأقوال عن نوعيّة الجامعيّة للقرآن.

تُعبِّرُ الآيات والروايات عن الجامعيّة المطلقة؛ بمعنى الاستجابة الكاملة للقرآن لاحتياجات الهداية التي تشمل جميع جوانب الحياة البشريّة. كما يوجد اختلاف في الرأي بين المفكّرين الإسلاميّين حول كميّة الجامعيّة ونوعيّتها، وقد تمّ تحليل هذه المسألة ودراستها على أنّها جامعيّة القرآن، وفي هذا الصدد هناك ثلاث وجهات نظر مهمّة: أقصى الجامعيّة للقرآن، يعني: تغطية القرآن على جميع العلوم، والجامعيّة الشاملة للقرآنِ، والحدّ الأدنى من جامعيّة القرآن، يعني: معالجة القضايا الأخرويّة، وتواجه كلٌّ من وجهات النظر هذه تحدّيات وانتقادات.

وبالنظر إلى الآيات والروايات حول الشموليّة المطلقة للقرآن في مسائل الإرشاد يتبيّنُ أنّه لا يمكن استخلاص جميع القضايا الدينيّة من ظهور القرآن من خلال فحص البنية الظاهريّة للقرآن؛ بمعنى آخر: إنّ القرآن ليس شاملًا وجامعًا حتّى في الأمور الدينيّة، أي: إنّه لا يمكن التعبير عن القواعدِ والتعاليم الدينيّة بالقرآن وحده.

على سبيل المثال: القواعدُ العمليّة مثل الصلاة والصوم والحجّ مذكورة بشكل عامّ في القرآن، وقواعدها التفصيليّة غير مذكورة في القرآن، فإذا كان القرآنُ شاملًا بالسنّة النبويّة، فإنّ جامعيّة القرآن ليست مستقلّة، أي: أنّه أصبح شاملًا وجامعًا بسبب

---

(١) ينظر: سنن سعيد بن منصور: ١/ ٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ٢٢٤: خطبة ١٥٨.

(٣) ينظر: الكافي: ١/ ٦٠.

السنّة النبويّة، بينما تعبِّرُ آياتُ القرآن، وروايات المعصومين عليهم السلام العديدة عن الجامعيّة المطلقة للقرآن في الأوامرِ الإرشاديّة؛ أي: إنّ ما يمكن استخلاصه من الآيات والأحاديث أنّ القرآن له شموليّة مطلقة في المسائل الإرشاديّة والدينيّة دون الحاجة إلى أيِّ مصدر، وهذا دليل على أنّ معارفه تتجلّى في ظاهر الآياتِ وباطنها.

وستحلّلُ الدراسة الحاليّة هذه المسألة بمنهجٍ تحليلي مع التركيز على تعاليم الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغةِ، وبالرجوع إلى آياتِ القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام، وبالاستناد إلى الأدلّة القرآنيّة والروائيّة فيما يُعبّرُ عن الجامعيّة المطلقة للقرآن في مسائل الهداية وإسنادها لأهل البيت عليهم السلام.

خلفيّةُ البحث:

تمَّ إجراء العديد من الأبحاث حول جامعيّة القرآن وكيفيّة إجرائه، وقد قام كلٌّ منها بفحص هذه المسألة من زاوية مختلفة، إذ تمّ اقتراح وجهات النظر القصوى والتوجيهيّة والصغرى في هذا الصدد. وقد جاءت بعضُ الأبحاث حول الجامعيّة مستقلّة وقائمة على كلّ حالة على حدة[١]، وبعضها تحت تفسير الآيات المتعلّقة بالشموليّة[٢]، ويمكن أن نلحظ فيها الآتي:

(١) البحث في مجال التوقع من القرآن، ودراسة دلالة تفسير المكوّن كل شي في جامعية القرآن، وجامعيّة القرآن، ودراسة وجهة نظر صدر المتألّهين الشيرازي في جامعيّة القرآن، وبحث في نظرة الجامعيّة المطلقة للقرآن، وتحليل الآيات المتعلّقة بجامعيّة القرآن الكريم، ودراسة مقارنة للنظرية الجامعيّة للقرآن من منظر تفسيرِ الميزان، وكيفيّة شموليّة القرآن في ضوء آراء المفكّرين والمفسّرين المسلمين، ودراسة جامعيّة القرآن في الموقف التفسيري لفخر الرازي والآلوسي البغدادي.

(٢) الاتقان في علوم القرآن:٢/ ١٦٤، وإحياء علوم الدين:١/ ٣٨٤-٣٨٣، ومفاتيح الغيب، الشيرازي:١٦٠، والجواهر في تفسير القرآن:١/ ٣، والقرآن الكريم والعلم الحديث:١٢٦، وتفسير الكوثر:٦/ ١٩٤، وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٧/ ٢٥٣، والتبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤١٨، وجامع البيان في تفسير القرآن: ٤/ ١٠٩، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٢٣٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٥٨٧، والتحرير والتنوير: ١٣/ ٢٠٥-٢٠٤.

أوّلًا: لم يتمّ التمييز بين جامعيّة القرآن وجامعيّة الإسلام.

ثانيًا: لم يستبين كيفيّة شمولها، وحدودها، ودور القرآن والروايات في هذه العمليّة، إضافة إلى أنّه لم يتم تحليلها ودراستها، كما أنّ معاني الأمور الإرشاديّة وأمثلتها لم يرد ذكرها في مسألة شموليّة الإسلام.

وعليه فإنّ الدراسة الحاليّة بمنهجها التحليلي تشرح للجمهور الجامعيّة المطلقة للقرآن المُعبّر عنها في الروايات، وتحلّل جامعيّة الإسلام من منظور مواءمة القرآن والروايات في عمليّة الشمول، وأمثلة على هذه الجامعيّة بالاعتماد على البعد الإرشادي للدين الإسلامي، والجامعيّة المطلقة للقرآن في هذه الدراسة لا تعني الشمول المطلق للقرآن في جميع العلوم والمعارف، بل الجامعيّة المطلقة في الأمور الإرشاديّة، والاستجابة لكلّ ما يحتاجه الإنسان حتّى يوم الدين؛ للوصول إلى الكمال والسعادة.

المبحثُ الأوّل: المفاهيمُ وكليّات البحث

المطلبُ الأوّل: الجامعيّة في اللغة

كلمةُ الجامعيّة هي من أصل (جمع) وجاءت في معجم (مقاييس اللغة) بمعنى: جَمعُ أشياء منفصلة على محور شيءٍ مشترك[١]، كما أعطاها الراغب الأصفهاني نفس المعنى واعتبرها تعني ارتباط مكوّنات الشيء[٢]، وقال ابنُ منظور: ((الجمعُ: جمع الشيء عن تفرقه، يجمعه جمعًا))[٣]، واستخدم بعض الباحثين أيضًا كلمة الجمع لتعني التجميع[٤]، وكلمة (جامع) تعني أيضًا المتعلّم[٥]، وعليه يُمكنُ تعريف

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٤٧٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٢٠١.
(٣) لسان العرب:١/ ٤٩٨.
(٤) قاموس القرآن: ٢/ ٤٧.
(٥) القاموس الشامل الحديث: ٢٨٢.

الجامعيّة بالقولِ: التعلّم والاندماج في شيءٍ ما، بحيث يكون هذا التعلّم بلا عيب في هذه المسألة.

المطلبُ الثاني: مفهوم جامعيّة القرآن

لم يرد ذكر جامعيّة القرآن الذي يحمل نفس العنوان في المصادر الدينيّة، باستثناء حالة واحدة أشار فيها الإمام الحسين عليه السلام إلى القرآن الكريم بـ(الكتاب الجامع) في صلاة عرفة، حيث يقول: ((وَ مُنْزِلُ الْمَنافِعِ وَالْكِتابِ الْجامِعِ بِالنُّورِ السّاطِعِ، وَهُوَ لِلدَّعَواتِ سامِعٌ، وَلِلْكُرُباتِ دافِعٌ، وَلِلدَّرَجاتِ رافِعٌ))[١]؛ ولكن هناك موضوعات قريبة منه، وتستخدم مصطلحات جوامع والجمع؛ كما في رواية الإمام الرضا عليه السلام في وصفِ القرآن إذ اُستُخدِمت كلمة (جميع) في وصف جامعيّةِ القرآن، فهو يقول في وصف جامعيّة القرآن: ((جهِلَ الْقَوْمُ وَخُدِعُوا عَنْ أَدْيَانِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، والْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ كَمَلا...))[٢].

ولم يرد في مؤلّفات القدماء عنوان جامعيّة القرآن ولكن تمّ التطرّق إلى هذه المسألة تحت عناوينَ أخرى. على سبيل المثالِ عبّر السيوطي عن هذا الأمر تحت عنوان (العلوم المستنبطة من القرآن))[٣]، كما تطرّق الزركشي إلى موضوع جامعيّة القرآن بعنوان (فُصّلَ في القرآن علمُ الأوّلين والآخرين)[٤]، وتمّ إعطاء تعريفات مختلفة لمفهوم جامعيّة القرآن ترتبطُ بطريقةٍ ما برسالة القرآن، وما يجب أن يقوله

(١) إقبال الأعمال: ٣٤٠.
(٢) أمالي الصدوق: ٦٧٥.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٣٤٢-٣٣٠.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٨٢.

القرآن، وفي المجالات التي يجب أن يقدِّمَ فيها برنامجًا يمكن تطبيقه ليكون جامعًا.

ويعتبرُ البعضُ جامعيّة القرآن كلّها أمور دينيّة وغير دينيّة، وبناءً على ذلك يتمّ توسيع تعريفهم للجامعيّة، بمعنى شموله و إدراجه في جميع العلوم[١]، واعتبر بعض المفكّرين أنّ نطاق جامعيّة القرآن هو بعده الإرشادي، فجاء تعريفهم مناسبٌ للنطاق الإرشادي للقرآن.

إنّ جامعيّة القرآن تعني: إنّ القرآن شاملٌ وجامعٌ في الهداية، وقد بَيَّنَ كلّ ما يحتاجه الإنسان في طريقِ سعادة وكمال الدنيا والآخرة. بالإضافة إلى ذلك فهو يشمل علوم السماواتِ والأرضِ والغيبِ وأخبارَها، والجامعيّة المطلقة للقرآن خاصّة بالمعصومين عليهم السلام، فهم مَن يُمكنهم استنتاج جميع القواعد والتعاليم من ظاهر أو باطن القرآن، وسيتمّ ذكر أسباب إثبات هذا التعريف لاحقًا.

المطلبُ الثالث: مفهوم الظاهر والباطن فى القرآن

يتّفقُ الفريقانِ على وجود البطون في القرآنِ، ولكن هناك اختلافات جوهريّة في البحث عن معنى البطون ومستوياته. إلّا أنّ حجّة البطونِ للقرآن قد ثبت برأيّ الفريقينِ واستشهدوا بروايات في هذا الصدد، وقد استند مفكّرون من السنّة إلى رواية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لإثبات البطونِ للقرآن، إذ قالَ صلى الله عليه وآله: ((أُنزِل القرآن على سبعة أحرفٍ لكلِّ آيٍ منها ظهر وبطن))[٢]، وفي رواية أخرى قال النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله: ((ما أنزل الله عزّ وجلّ آية إلّا ولها ظهر وبطن، ولكلّ حرفٍ حدّ، ولكلِّ حدٍّ مطلع))[٣]، إضافة إلى أنّ هناك روايات كثيرة وصحيحة عن بطن القرآن في روايات

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٨، وإحياء علوم الدين: ١/ ٣٨٤-٣٨٣.

(٢) جامع البيان عن تاويل آى القرآن: ١/ ٢٢، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٣١٦.

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١/ ٥٥٠.

الشيعة، منها: ((عَنْ ذَرِيحٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِأَمْرٍ فَأُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَهُ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قَالَ: لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِقَاءُ الْإِمَامِ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاسِكُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ: فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قَالَ: أَخْذُ الشَّارِبِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ ذَرِيحَ الْمُحَارِبِيِّ حَدَّثَنِي عَنْكَ بِأَنَّكَ قُلْتَ لَهُ: لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِقَاءُ الْإِمَامِ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمَنَاسِكُ، فَقَالَ: صَدَقَ ذَرِيحٌ وَصَدَقْتَ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ ذَرِيحٌ))[1]؛ و((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدًا صَالِحًا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ﴾ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ فَجَمِيعُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَئِمَّةُ الْجَوْرِ، وَجَمِيعُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مِنْ ذَلِكَ أَئِمَّةُ الْحَقِّ))[2].

ومن ذلك ما وردَ من كلام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في ظهر القرآن وبطنه: ((لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ))[3].

ويُمكن أن يقالَ عن جامعيّة القرآن أنّ هناك العديد من معارفِ القرآن في بطنهِ، ولا يمكن للجميع فهم هذا البطن، كما يعتقدُ البعض أنّ القرآن الكريم من جهةٍ هو كتابُ هداية للبشر، وتحدّث بلغتهم، ومن جهةٍ أخرى يُعبّر عن جميع التعاليمِ المؤثّرة في سعادة الإنسانِ، وبما أنّه لا يمكن التعبير عن كلّ هذه المعارف في شكلِ

---

(١) الكافي:٤/ ٥٥٠.

(٢) م.ن: ١/ ٣٧٤.

(٣) م.ن: ٢/ ٦٠٠.

كلماتٍ محدودة من القرآن، فقد تمّ التعبيرُ عن بعضِها في شكلِ معانٍ باطنيّة، على الرغم من أنّ هذا لا يعني أنّه يمكنُ للجميع الحصول على جميع هذهِ المعاني الباطنيّة[١]، بالإضافةِ إلى الاستناد إلى الآيات الجامعيّة: ﴿وَ يَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهيدًا عَلى هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمين﴾ [النحل:٨٩]، ﴿ما كانَ حَديثًا يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [يوسف:١١١]، ويُستنتج أنّه إذا كان المقصود في هاتين الآيتين تفسير (كلّ شيء) هو نفس جامعيّته الظاهريّة، فمن الواضح أنّه لا يمكن لجميع الناس استنتاج كلّ شيءٍ من ظهرِ القرآن وفقًا لمبادئ الحوار وقواعده؛ لذلك سيكون جزءٌ كبيرٌ من تلك المعارف باطنيًّا وسيفهمه بعض الأشخاص، وأيضًا إذا تمّ تخصيص (كلّ شيء) بقيودٍ مثل: (كلّ ما يتعلّقُ بالمبدأ والمعاد)، أو (القوانين الشرعيّة والأخلاقيّة)، أو (كلّ ما يتعلّق بالهداية وسعادة الإنسان) ففي هذه الحالة أيضًا لا يمكن لجميع الناس استخدام هذه الأشياء من ظهر القرآن، وستكون حتمًا باطنيّة، ومرّة أخرى بعض الناس فقط يمكنُهم استنتاج تلك المعارف[٢].

وما يُستنبَطُ من تركيب القرآن والروايات الصحيحة في هذا الصدد أنّ فهم كلّ حقائق القرآن والمعرفة ببواطنه خاصّة بأهلِ البيتِ عليهم السلام، وفي هذا الصدد هناك روايات صحيحة تُفيدُ بأنّ أهلَ البيت عليهم السلام مُكرّسينَ لفهمِ بواطن القرآن، فقد وردَ عن الإمامِ الباقرِ عليه السلام في هذا: ((عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ ظَاهِرِهِ وَ بَاطِنِهِ غَيْرُ الْأَوْصِيَاء))[٣]، ومن جهةِ

(١) مقاربة للمدارس التفسيريّة: ٢٢٠.

(٢) م.ن: ٢٢٠.

(٣) الكافي:١/ ٢٢٩.

أخرى ردًّا على سؤالِ فُضيل عن معنى ظهرِ القرآن وبطنه، بالإضافة إلى شرح هذا الأمر فإنّه يُعرِبُ عن الفهمِ المطلق لظهرِ القرآنِ وبطنه للمعصومين عليهم السلام: ((عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَ لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ، مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؟ قَالَ: ظَهْرٌ وَبَطْنٌ هُوَ تَأْوِيلُهَا، مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِئْ، يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلَّمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ))[1].

ووفقًا لهذه الروايات فإنّ العديد من معارف القرآنِ تظهر في بطنِهِ ولا يعلم هذه التعاليم إلّا أهل البيت عليهم السلام، وهم يشرحونها للناسِ.

المبحثُ الثاني: دراسةُ آراءِ المفكّرين الإسلاميّين في جامعيّة القرآن ونقدُها

هناك أقوالٌ مختلفة بين المفكّرين منذ البدايةِ حول حدود جامعيّة القرآن وكيفيّتها، وإجمالًا يمكنُ التعبيرُ عن ثلاثِ وجهاتِ نظرٍ حول جامعيّة القرآن وجودته: الجامعيّة المطلقة، الجامعيّة في المسائلِ الإرشاديّة، الحدّ الأدنى من الجامعيّة:

١-الجامعيّةُ المطلقة للقرآن في جميع العلوم:

وهذه وجهة نظرٍ تدلّ على اشتمالِ القرآن بالإضافة إلى أمورِ الهداية والدينِ سائر الأمور وسائر العلوم، إذ يؤمنُ بعض المفكّرين من السنّة بالجامعيّة المطلقة، ويتّبعونَ كلامَ ابن مسعود معتقِدين أنّ العلمَ الأوّلُ والآخرُ مكنونٌ في القرآن[2]، وقد أكّد مؤلّف كتاب (الاتقان في علوم القرآن) على هذا الرأي، وذكر الجامعيّة المطلقة للقرآن، وقال عنها: ((قد اشتمل كتابُ الله العزيز على كلِّ شيء، أمّا أنواع العلوم

(١) بحار الأنوار:٢٣/ ١٩٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٨٢.

فليس منها باب ولا مسألة هي أصلٌ إلّا وفي القرآن ما يدلُّ عليها))[١]، ويعتقد الغزالي إنّ أمثلة جامعيّة القرآن واسعة النطاق، ويعتبرُ أنّ جميع العلوم موجودة في القرآن بشكل مطلقٍ، فيكتب في هذا الصدد: ((العلومُ كلُّها داخلٌ في أفعالِ الله عزّ وجلّ وصفاته، وفي القرآنِ شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لانهاية لها))[٢]، ويذهبُ صدرُ المتألّهينَ من مفكّري الشيعة إلى القولِ بجامعيّة القرآن بشكلٍ مطلقٍ، إذ قالَ: ((ما من علمٍ إلّا وفي القرآن أصله وفرعه و مبدؤه ومنتهاهُ))[٣]، كما أكّد بعضُ المفكّرين المعاصرين على الجامعيّة المطلقة للقرآن، وإدراجها جميع العلوم[٤]، فأنصارُ هذا الرأي يعتبرون أنّ جميع العلوم موجودة في القرآنِ، وبالطبع هناك فرق بينهم في ماهيّةِ هذه العلومِ.

النقدُ والتحليل:

رسالةُ القرآن هي إرشادُ البشرِ ورسم الخطط لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، ومن ناحية أخرى فقد أشار القرآن الكريم إلى نقاط علميّة وتعاليم أخرى تتماشى مع الغرض الأساسي من القرآن وهو توجيه الطبيعة البشريّة وإيقاظها.

فلو كان الغرض من القرآن هو تغطية جميع العلوم وكانت رسالته الكشف عن أسرار هذه العلوم وكشفها للناس، من وجهة نظر رجال الدين والمفكّرين المسلمينَ، فقد أشارَ البعضُ إلى أنّ في مجتمعاتنا السرديّة قد وردت أحاديث كثيرة في فضل القرآن، ولكن لا يوجد في أيٍّ منها دليلٌ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام فسّروا القرآنَ بطريقةٍ علميّةٍ، ممّا يجعلُ القرآنَ متوافق مع علوم

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٦٤.
(٢) إحياء علوم الدين: ١/ ٣٨٤-٣٨٣.
(٣) مفاتيح الغيب، الشيرازي: ١٦٠.
(٤) الجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٣، والقرآن الكريم والعلم الحديث:١٢٦.

التجربة وقوانين الطبيعة[١]، طبعًا لا ينبغي أن ننسى أنّ أهلَ البيت عليهم السلام تكلّموا حسب أذهان الناسِ ولم يقولوا أشياءَ معقّدة وغيرَ مفهومة لأهلِ ذلك الوقت؛ لذلك يُحتَمَلُ أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يذكروا هذا الأمر؛ لعدم وجودِ جمهورٍ علميٍّ في القضايا التجريبيّة والطبيعيّة، لكن يجبُ الفصل بين شيئين:

الأوّل: يجب تحديد مهمّة القرآن، وهي هداية البشر، وإسعادهم في الدنيا والآخرة؛ بمعنى أنّ مهمّة القرآنِ ليست كشف أسرار العلوم التجريبيّة والطبيعيّة.

الثاني: إنّ الشمولَ المطلق للقرآن في الأمور الدينيّة، وإدراجه في الأمور غير الدينيّة يجب أن يُعالَجَ ويجب أن يكون موجّهًا للجمهور.

ولا شكّ في أنّ القرآن الكريم يحتوي على تعاليمٍ لا يُحيطُ بها إلّا أهلُ البيت عليهم السلام؛ بعبارة أخرى: يحتوي القرآن على الظاهر والباطن، والباطن منه خاصّ بالمطهّرين؛ لذلك إذا قبلنا الجامعيّة المطلقة لنطاقِ مهمّة القرآن، يجب أن نعتبرَ هذه الجامعيّة ملكًا لأهله. وسيتمّ شرح هذا الرأي وتحليله أدناه.

٢-جامعيّةُ القرآن في بيان الشؤون الإرشاديّة:

يرى بعضُ المفكّرين الإسلاميّين أنَ شمول جامعيّة القرآن مقصورة على مسائل الهداية، وفي رأي هذا الفريق بما أنّ القرآنَ كتابُ الهداية، فلا بدّ من أن يكون شاملًا وجامعًا في هذه الأمور، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهيدًا عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمين﴾[النحل:٨٩]، وآراء هذه المجموعة من المفكّرينَ مختلفة ومتمايزة أيضًا، فيرى البعضُ شموليّة القرآن في أمور الدين مطلقة، بمعنى أنّ

(١) التفسير العلمي للقرآن: ١/ ١٥٢.

جميع الأمور الدينيّة والإرشادات مذكورة في القرآنِ[1]، ويؤمنُ بعضُ المفكّرين الإسلاميّين بالجامعيّة المطلقة للقرآنِ، لكنّهم أضافوا إليها شرط شرح النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي رأي هذا الفريق فإنّ القرآنَ شاملٌ وجامعٌ للدين، وهذا الشمول إمّا في نصِّ القرآن، أو في كلامِ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وغيره. وفي هذا قال الشيخ الطوسي: ((أي: بيانًا لكلّ أمرٍ مُشكلٍ، والتبيان والبيان واحد، ومعنى العموم في قولهِ (لكلّ شيء) المراد به من أمور الدين: إمّا بالنصِّ عليه أو الاحالة على ما يُوجِبُ العلم من بيانِ النبيّ صلى الله عليه وآله، والحجج القائمينَ مقامه، أو إجماع الأمّة، أو الاستدلال؛ لأنّ هذه الوجوه أصول الدين، وطريق موصلة إلى معرفته))[2].

النقد والتحليل:

إنّ النظرَ إلى جامعيّة القرآن في الإرشاد والهداية نظرَةٌ معتدلة في هذا المجال وتتناسب مع رسالة القرآن، وغايته، فإذا اعتبرنا جامعيّة القرآن خاصّة بالمسائلِ الدينيّة والإرشاديّة، فإنَّ القرآن لا يزال غير شاملٍ؛ لأنّ العديد من القواعدِ والقضايا الدينيّة والإرشاديّة الهامّة لم يتمّ ذكرها في القرآن. وإذا كان تطبيقُ الجامعيّة خاضعًا لسنّةِ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام- كما قدّمَ بعضُ المفسّرين هذا الرأي- فإنّ شموليّةَ القرآن ليست مستقلّة بل تعتمدُ على التقليد والسنة؛ بينما في الروايات والآية ٨٩ من سورة النحل تمّت مناقشة جامعيّة القرآن بشكلٍ مستقلّ.

بمعنى آخر: هل القرآن جامعٌ مع السنّة وغيرها، أم أنّه جامعٌ بشكلٍ مستقلّ؟

فيقالُ إنّ ما يمكن استنتاجه من الآياتِ والأحاديث هو أنّ القرآن له جامعيّةٌ مطلقة في مسائل الهداية، وذكر كلّ ما يحتاجه الإنسان في مجال السعادة والكمال،

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٧/ ٢٥٣، وتفسير روان جاويد: ٣/ ١٨٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤١٨.

ولكن لا يمكن لأيِّ شخصٍ استخراج هذه المعارف، وإنّما فقط المعصومون عليهم السلام الذين يُدركون تمامًا تعاليم الظاهر والباطن للقرآن الكريم؛ لذلك فإنّ ما يُؤخذُ على هذا الرأي هو مسألة استقلاليّة جامعيّة القرآن، بمعنى أنّ القرآن مستقلٌّ دون الحاجة إلى مصدرٍ آخر، وسنّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام مبنيّة أيضًا على القرآن.

إذ يُقدِّمُ القرآن الكريم نفسه على أنّه تبيانٌ لكلّ شيء: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، على الأقلّ يمكنُ استنتاجُ من (كلّ شيء) المسائل الدينيّة والإرشاديّة. والسؤال المطروح: هل يوجد تفصيلٌ لقواعدِ وتعاليم القرآن في القرآنِ نفسِه، أم أنّ سنّة الرسولِ الكريم صلى الله عليه وآله توضّحُ ذلك؟

وبمعنى آخر: هل مصدرُ السنّة النبويّة هو القرآن، أم شيء آخر؟

والمعنى العام للآية أنّ الله أنزل الكتاب وهو القرآن بكلّ تفاصيله، وتبيينه على الرسولِ الكريم صلى الله عليه وآله، وبمعنى آخر: في القرآن كلّ الأمور والقضايا الدينيّة، ولكن هذه الأمور التي أُنزِلَت على الرسولِ الكريم صلى الله عليه وآله لم تُكشَفْ للجميع، وهذه القضايا والمسائل الدينيّة التي نزلت على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ليست من نوعِ الألفاظِ والأقوالِ.

٣-الحدُّ الأدنى من الجامعيّة:

وقد لجأ بعضُ المفكّرين المعاصرين إلى هذا الرأي، واعتبروا جامعيّة القرآن مقصورة على حالات معيّنة، إلّا أنّ هذه المجموعة تُميِّزُ بين جامعيّة القرآن، وكماله، ويعتقدون بكمالِ القرآن لا بجامعيّته، فإنّ كمالَ الدين في نظر هذه المجموعةِ هو التفسير الكاملُ للشؤون الروحيّة والأخرويّة، والتنازل عن العلوم الإنسانيّة والتجريبيّة بما في ذلك طريقة الحكمِ للناسِ[1].

(١) أسمن من الأيديولوجيا: ٤٨.

يكتب الدكتور سروش عن هذا: ((إنّ الله أوّلًا وقبل كلّ شيء لم يُرسِلِ الدينَ للعمل في هذا العالم وتنظيم معيشتنا العاجزة في هذا العالم، إنّ التعاليمَ الدينيّة موجّهةٌ أساسًا إلى الآخرة، أي: لتنظيم سُبُل العيش والسعادة في الآخرةِ))[1]، وقد مالَ بعضُ المفكّرين الآخرين إلى هذا الرأي، واعتبروا جامعيّة القرآن، وبعبارةٍ أخرى: جامعيّة الدين مقصورة على الآخرة، وبمعنى آخر: يعتبرون شؤون الحكومةِ والسياسةِ، وحتّى القضايا الدنيويّة الأخرى منفصلةٌ عن رسالةِ القرآن[2].

النقد والتحليل:

إنّ وجهةَ نظر الحدّ الأدنى من جامعيّة القرآن، وتكريسها لبُعدٍ واحدٍ وحصره في الأمور الأخرويّة يتعارضُ مع الأدلّة النقليّة، فإنّ آياتِ القرآنِ، وروايات المعصومين عليهم السلام في جامعيّة القرآن مطلقة؛ فهي تُغطّي على الأقلّ شؤون الدينِ والعالم، وربطها بقضيّةٍ معيّنةٍ يتطلّبُ حجّة قاطعة، بينما لا دليل قاطع في هذا الصدد، ولم يُشِرْ أصحاب هذا الرأي إلى الأدلّة القاطعةِ والدامغة.

إنّ فحص محتوى القرآن الكريم يُبيّنُ أمرًا هامًّا وهو أنّ برامج القرآن الكريم ليست مكرّسةً للآخرة، ولكن هناك برامج خاصّة بالحياة الدنيويّة بكلّ أبعادها. ويقولُ ملا صدرا مُنتقِدًا هذا الرأي: ((فالقرآنُ مشتملٌ على شرح قوانين الشريعة وضوابط الاختصاص في آيات المناكحاتِ و المداياناتِ والمواريثِ وقسمة الزكاةِ والغنائمِ وأبواب العتقِ والكتابةِ والاسترقاقِ والسبيّ والعقوباتِ الزاجراتِ عن أسبابِ المفاسدةِ؛ كقتال الكفّار وأهل البغي، والحدود والغرامات والقصاص والديّات والكفّارات، أمّا القصاص فدفعًا للسعي في إهلاك الأنفس والأطراف وأمّا

(١) التبنّي النظري للشريعة وتطويرها: ١٦٣، والتوسّع في التجربة النبويّة: ١٠٩-١٠٧.
(٢) الإسلام وأصول الحكم: ١٥٩، والتفسير الحديث: ٦/ ٩١.

الحدود؛ كحدِّ السرقةِ والزنا وغيرهما فدفعًا لما يستهلكُ الأموالَ التي هي من أسباب المعاشِ، والأنساب التي هي طريق الحرث والنسل، وأمّا جهاد الكفّار وأهل البغي فدفعًا لما يُفسدُ به اعتقاد أهلِ الحقّ إذ يتشوّش بسبب مروق المارقينَ عن ضبط السياسةَ التي يتولّاها حارسُ السالكين وكافل المحقّينَ نائبًا عن رسولِ ربّ العالمين، واشتمال القرآن على الآياتِ الواردة في هذا الجنسِ ممّا لا يخفى عليك، وما يشتمل هذا القسم عليها يسمّى علم الحلال والحرام، وحدود الأحكام، وهذا العلم يتولّاهُ الفقهاء، وهو علم يعمُّ إليه الحاجّة؛ لتعلّقهِ بصلاحِ الدنيا أوّلًا، ثمّ بواسطته بصلاحِ الآخرة))[1].

لذلك فإنّ دراسةَ أسلوب القرآن وسياقه، وفي تعبيرٍ أكثر شمولًا عن الإسلامِ حول الحياة الدنيويّة والأخرويّة وعلاقتهما ببعضِهما البعض، والاهتمام بجميع جوانب الحياة البشريّة في العالم التي تتعلّقُ بالسعادةِ والعطاءِ سيُحدّدُ النقصان لهذا الرأي.

المبحثُ الثالث: مفهومُ جامعيّة القرآن من وجهةِ نظر الإمامِ علي عليه السلام

إنّ جامعيّةَ القرآن في أحاديث الإمامِ علي عليه السلام بمعناه المطلق، أي: الاستجابةُ لجميع الحاجاتِ الإرشاديّة للإنسان حتّى يوم القيامة، تقومُ على أساسينِ هامّينِ، وغنيٌّ عن القولِ أنّ إثباتَ الجامعيّةِ المطلقةِ للقرآن وتخصيصه للمعصومين عليهم السلام لا يعني أنّ الآخرين لا يستفيدونَ من القرآن؛ إذ تؤكّدُ تعاليم القرآن والمعصومين عليهم السلام على الحاجةِ إلى التأمّل والفهم والتفقّهِ في القرآنِ، وإلى ذلك أشارَ الإمامُ علي عليه السلام في مسألةِ تعليمِ القرآنِ وتفقّهه: ((وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ

(١) مفاتيح الغيب، الشيرازي: ١/ ٥٧.

فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَص))[1]، ومعنى إسنادُ الفهم إلى المعصومينَ عليهم السلام هو فهمُ الظهرِ والبطنِ، وتأويلُ القرآن بمعناه الكاملِ.

فالقرآنُ كتابٌ شاملٌ وجامعيّته مطلقة، بمعنى أنّ الحاجاتِ الإرشاديّة للإنسانِ مُعبّرٌ عنها في هذا الكتاب الإلهي، لكن ليس باستطاعةِ كلُّ البشرِ استخلاصَ كلّ الأمور الإرشاديّةِ و الدينيّة من القرآنِ، فضلًا عن أمورٍ أخرى لم يرد ذكرها شرحها الإمامُ عليه السلام، كما تشيرُ آياتُ القرآن وغيرها من رواياتِ المعصومين عليهم السلام إلى ذلك.

وبتدقيق الآيات والروايات في جامعيّة القرآن يتّضحُ أنّ القرآن الكريم له استقلاليّةٌ متأصّلةٌ في الشمولِ المطلق في المسائلِ الإرشاديّة، ومن هذه الآيات: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهيدًا عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمين﴾ [النحل:٨٩]، و﴿ما كانَ حَديثًا يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [يوسف:١١١]، فإنّها تذكرُ جيّدًا أنّ القرآن هو تبيانٌ و تفصيلٌ لكلّ شيء، وأنّ هذا التفسير للقرآن لا يقتصرُ على أيّ قيدٍ، وهذا يعني أنّ جميعَ المعارفِ موجودةٌ في القرآنِ، ولكن لا يمكن للجميعِ استخلاص هذه التعاليم، ولا يدرك هذا الأمر سوى المعصومين عليهم السلام.

الأساسُ الأوّل: الجامعيّةُ المطلقة للقرآن في مسائل الهداية

الجامعيّةُ المطلقةُ للقرآن تعني تلبية القرآن لجميع الاحتياجات الإرشاديّةِ للإنسان، إذ يوضّحُ تحليلُ آياتِ القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام أنّ القرآنَ كتابٌ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١١٠.

جامعٌ في مسائلِ الهداية، بمعنى أنّه لا يهمّ في مجال هدايةِ البشرِ إلّا إذا نصّ عليه القرآن.

والنقطة المهمّة هي أنّ القضايا الإرشاديّة ليست مجرّد تعبيرٍ عن الأمورِ العباديّةِ والطقوس، بل هي تعبير عن كلّ ما هو مؤثّر في السعادة البشريّةِ الدنيويّةِ والأخرويّةِ؛ وبهذه الطريقة فإنّ دائرة الأمثلة على جامعيّةِ القرآن في القضايا الإرشاديّةِ ترتبطُ بكلِّ العوامل التي تؤثّر على هدايةِ الإنسان؛ لذلك فإنّ الرسالةَ الأساسيّةَ للقرآن هي الهداية، و في هذا الصدد يجبُ أن تكونَ جامعةً وشاملةً، وأنّ هداية القرآن تشمل جميع جوانب حياة الإنسان؛ لذلك فإنّ القرآن الكريم شاملٌ في تناولِ الأمور الإرشاديّةِ ولكن تفصيل وإتمامَ الأمورِ المذكورةِ أعلاه والقضايا الإرشادية الأخرى في روايات المعصومين عليهم السلام، بمعنى أنّه بجمعِها مع القرآنِ يكتملُ شمولَ القرآن في الهدايةِ؛ لأنّ الكثير من تعاليمِ القرآن متضمّنةٌ في بطنِهِ، ولا يمكن لأحدٍ أن يستخرج هذه التعاليم إلّا المعصومينَ عليهم السلام.

يؤكّدُ الإمامُ عليٌ عليه السلام على الجامعيّةِ المطلقةِ للقرآنِ في المسائلِ الإرشاديّةِ، كذلك قد أشار إلى القرآنِ و إدراجهِ في أخبارِ الغيبِ والسماءِ والأرض في مواقف مختلفة، وتمّ التعبيرُ عن هذه الجامعيّةِ المطلقة وإدراج القرآن في المعرفةِ العميقةِ في الخطبةِ الثامنة عشرةَ من نهجِ البلاغةِ، فقال الإمامُ عليّ عليه السلام وهو يُدينُ القضاة الذين يحكمون نيابة عنهم، ويختلفون فيما بينهم، أنّ الدينَ دينٌ كاملٌ والقرآنَ تبيانٌ لكلّ شيء، هذا يعني أنّه حتّى في القرآنِ توجد معلومات عن حكمكم: ((أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وَ قَالَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ

يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَ لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ))[1] قد أكَّدَ في هذه الرواية هذا الأمر المهم على أنّ الله لم ينزل دينًا ناقصًا يمكن استكماله بالاعتماد على أمورٍ أخرى مثل رأي الآخرين، بل إنّ كلّ ما هو مطلوب لهداية البشر إلى يوم القيامة مذكورٌ في هذا الكتاب السماوي الأخير.

وفي مكانٍ آخر يُعبّرُ عن الجامعيّة المطلقة للقرآن بطريقةٍ يُكمِلُ الله الدين من خلالِ القرآنِ حيثُ يقولُ: ((فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زاجِرٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، اءَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثاقَهُمْ، وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ اءَنْفُسَهُمْ، اءَتَمَّ نُورَهُ، وَ اءَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ قَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ احْكامِ الْهُدى بِهِ))[2]

وفي خطبةٍ أخرى ذكرَ حوالي اثنين وأربعينَ سمةً من سماتِ القرآنِ الكريمِ تدلُّ على عظمة هذا الكتاب السماوي الأخير، وسموِّ معانيه، وعمقٍ لا نهاية له: ((أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْرًا لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَ مِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَ فُرْقَانًا لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَ تِبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَ عِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ وَ أَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَ غِيطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَ عُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ...))[3]، ويقول في مكانٍ آخر: ((وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٨.
(٢) م.ن: خطبة ١٨٢.
(٣) م.ن: خطبة ١٩٨.

لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وَ بَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُه))[1]، وفي مكانٍ آخر يذكرُ في أمثلةِ القرآنِ الإرشاديّة، ومعناه الإرشادي الكامل: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَ اسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَ النِّفَاقُ وَ الْغَيُّ وَالضَّلَالُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2]، وفي هذا الجزء منَ الخطبةِ ذكرَ أشياءً مهمّةً عن القرآنِ الكريمِ، منها إنّ المرء لن يحتاج إلى أيِّ شيءٍ آخر مع القرآنِ.

ومن المؤكّدِ أنّ معنى الحاجة والغنى ليس الحاجة المادّيّة، بل الهداية الإلهيّة التي تتجلّى في القرآنِ، فلو لم يكن القرآن جامعًا في الهداية ولم يستطع أن يُبيّنَ سبيلَ الهدايةِ ولم يقدرِ الإنسان أن يُحقّقَ السعادةَ والكمالَ في الدنيا والآخرة بامتلاكهِ لما قاله الإمامُ عنه.

ويتابعُ في حديثه عن أهمّيّةِ القرآن وما يتناسب معه: ((أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُم))[3]،

---

(١) نهج البلاغة: خطبه ١٣٣.

(٢) م.ن: خطبه١٧٦.

(٣) م.ن.

وفي هذا البيانِ أيضًا تُقبَلُ الأعمالُ التي تتوافق مع القرآنِ يومَ القيامةِ؛ لذلك من وجهةِ نظرِ الإمام عليّ عليه السلام إنّ القرآنّ هو كتابٌ شاملٌ، و جامعيّته مطلقةٌ؛ بمعنى أنّ الحاجاتِ الإرشاديّةِ للإنسان مُعبّرٌ عنها في هذا الكتاب الإلهي، لكن هل باستطاعةِ كلّ البشرِ استخلاصَ كلّ الأمورِ الإرشاديّة و الدينيّة من القرآنِ؟، كما تشيرُ آياتُ القرآن وغيرِها من رواياتِ المعصومين عليهم السلام إلى ذلك.

الأساسُ الثاني: الجامعيّةُ المطلقة للقرآن خاصّة للمعصومينَ عليهم السلام

تمّ التأكيدُ في أحاديث الإمام عليّ عليه السلام على التأمّل في القرآنِ واستفادةِ الجميع منه: ((تَعَلَّمُوا اَلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلْحَدِيثِ وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ اَلْقُلُوبِ وَ اِسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ اَلصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ اَلْقَصَصِ))[1]، لكنّ الفهمَ المطلقَ للقرآن من ظهرِهِ وبطنِهِ وتفسيرِهِ محجوزٌ للمعصومين عليهم السلام، وقد ورد ذكرُ هذه النقطة الهامّةِ في نهج البلاغة عدّةَ مرّاتٍ، إذ يقولُ عليه السلام: ((ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُم))[2]، وفي هذا السردِ فإنّ الاستجوابَ المطلقَ للقرآنِ الذي يكشف ظهرَ القرآن وبطنِهِ ويُعبّرُ عن تعاليمه العميقةِ لم يُذكَرْ تخصيصه لعامّةِ الناس، لكنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد اعتبرَ أنّ الفهمَ العميقَ للقرآن وتفسيره وتأويله خاصّ به؛ إذ يُشيرُ حرف (لن) إلى النفي الأبدي، بمعنى أنّه حتّى يومَ القيامةِ لا يُمكنُ لأحدٍ غير المعصومِ عليه السلام أن يستجوبَ بشكلٍ مطلق ظهرَ القرآنِ و بطنِهِ.

وجاءَ في خطبةٍ يصفُ فيها فضائلَ أهل البيت عليهم السلام وعلاقتهم بالقرآنِ: ((فهمْ كَرائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، اِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَاِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا، فَلْيَصْدُقْ

(١) نهج البلاغة: خطبة ١١٠.
(٢) م.ن: خطبة ١٥٨.

رائِدٌ اَهْلَه))[١]، وفي خطبةٍ أخرى يقولُ: ((أيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا اَنَّهُمُ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا؟! كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنا، اَنْ رَفَعَنَا اللّهُ وَ وَضَعَهُمْ، وَاَعْطانا وَحَرَمَهُمْ، وَاَدْخَلَنا وَاَخْرَجَهُمْ، بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدى، وَ يُسْتَجْلَى الْعَمى، اِنَّ الاْئِمَّةَ مِنْ قُرَيْش، غُرِسُوا فى هذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِم، لا تَصْلُحُ عَلى سِواهُمْ، وَ لا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ))[٢]، إذ يؤكّدُ كلامَ الإمامِ عليّ عليه السلام في هذا الصددِ انسجامًا مع الأحاديث الأخرى على انحصارِ الراسخون للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهلِ البيتِ عليهم السلام، وعليه فإنّ توسّعَ حقلُ الراسخين إلى غيرِ المعصومين هو ادّعاء لا أساسَ له؛ لأنّ المقصودَ برسوخِ العلمِ؛ هو المعرفة الكاملة للمحكماتِ والمتشابهاتِ، والإحاطةُ العلميّةُ بكلّ أبعادها، وآفاقها، والطبقات الظاهريّة والباطنيّة لمعارفِ القرآن، لا معرفة غير كاملة وقليلة من أجزاءِ القرآنِ[٣]؛ لذلك ففي هذا المحورِ أيضًا فإنّ أهلَ البيتِ عليهم السلام هم العالمون بظهرِ القرآنِ وبطنهِ وينحصرُ الشمول المطلق للقرآن فيهم. وإنّ جمهورَ الجامعيّةِ المطلقة للقرآن خاصّ بالمعصومين بناءً على أدلّةٍ موثّقةٍ تُثبتُ من ناحية الجامعيّةِ المطلقة للقرآن في مسائلِ الإرشاديّةِ، ومن ناحيةٍ أخرى تأخذُ بعينِ الاعتبار الجامعيّة المطلقة للانتماءِ لأهلِ البيتِ عليهم السلام.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٥٣.

(٢) م.ن: خطبه ١٤٤.

(٣) موسوعة الإمام علي عليه السلام: ١/ ١٩٣.

نتائجُ البحث

١- قد ذُكِرَ مبدآن هامّان في نهجِ البلاغة حول جامعيّةِ القرآن الكريم، هما:

أ-القرآنُ الكريم كتابٌ شامل وجامعٌ، وقد استجاب لحاجات البشر الإرشاديّة، بمعنى أنّه لا يوجد أمر ديني أو إرشادي إلّا إذا ورد في القرآن الكريم.

ب-أشارَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في نهجِ البلاغةِ إلى بنية القرآنِ ومضمونهِ ومعارفه العميقة والسامية، ووفقًا لهذا المبدأ فإنّ الفهم المطلق للقرآن، ومعرفة ظهرهِ وبطنهِ وتأويله وتفسيرهِ خاصّ بأهلِ البيتِ عليهم السلام فهم الذين يُمكنهم التعبير عن جميعِ أحكامِ ومعارف القرآن للناس حسب عدّةِ حججٍ، مثل: آيات القرآن، روايات المعصومين عليهم السلام، بنية القرآن، والسيرة العلميّة والعمليّة للمعصومين عليهم السلام.

وقد تمّ إثبات هذينِ المبدأينِ لجامعيّةِ القرآن في نهجِ البلاغةِ.

٢- يُعبّرُ الإمامُ عليّ عليه السلام عن استجوابِ القرآن بمعناه الكامل خاصّة لنفسه.

٣- يُقدّمُ الإمامُ عليه السلام أهلَ البيتِ عليهم السلام في مناصب مختلفة كراسخينَ في العلمِ، وأركان الدين، وأدلّة الدين، وعلماء القرآن، ومرجعيّة الناس في الهداية، وخزانة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، وممثّل أحكام الشريعة، وحرّاس الدين.

٤- الجامعيّةُ المطلقة للقرآن خاصّة بالمعصومين عليهم السلام الذين يدركون ظهر الآياتِ وبطونها، وتفسيرها، وتأويلها، ويستخرجون المعارف الدينيّة وغير الدينية من ظهرِ القرآنِ وبطنه.

٥- إنّ القولَ بجامعيّةِ القرآن خاصّةٌ بالمعصومين عليهم السلام لا يعني أنّ الآخرين لا يستفيدون من معارفِ القرآن، فهم يستفيدون من تعاليمِ القرآن حسب طاقتهم، وكذلك فإنّ البعضَ منهم يرجعُ إلى القرآن وأهلِ البيت عليهم السلام معًا لمعرفةِ الإجابةِ على حاجاتِهم الإرشاديّة في أمورِ الدين والدنيا والآخرة.

المصادر و المراجع

*القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، بيروت، دارالمعرفة.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمّد الغزالي، بيروت، دار الجيل.

٣. الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرزّاق، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤. أسمن من أيديولوجيّة، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٧٠ش.

٥. إقبال الأعمال، ابن طاووس، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٧ش.

٦. الأمالي، محمد بن بابويه الصدوق، بيروت، منشورات الأعلمي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، بيروت، دار احياء التراث، ١٤٠٣هـ.

٩. بحث في الجامعيّة المطلقة للقرآن، علي غضنفري، مجلة التفسير واللغة القرآنية السنة الخامسة، عدد٢، ١٣٩٦.

١٠. بحث في مجال التوقّع من القرآن، علي الشفيعي، موسوعة القرآن الكريم، ١٣٩٢ش.

١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١ م.

١٢. التبنّي النظري للشريعة وتطويرها، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٥٧ش.

١٣. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، بيروت، دار احياء التراث العربي.

١٤. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، موسسة التاريخ.

١٥. التحقيق في دلالات تبيان لكلّ شيء في جامعيّة القرآن، محمد إبراهيم روشن ضمير، مجلة التعاليم القرآنية، العدد ١٩، الربيع والصيف، ١٣٩٣ش.

١٦. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، سيد حسن المصطفوي، طهران، مركز الكتاب للترجمة والنشر، ١٤٢٦هـ.

١٧. تحليل الآيات المتعلقة بشموليّة القرآن الكريم، أبو الفضل قاسم نوروزي، مجلة السراج المنير الفصليّة، العدد ٢١، ١٣٩٤.

١٨. تفسير التسنيم، عبدالله الجوادي الآملي، قم، منشورات اسراء، ١٣٨٧ش.

١٩. التفسير الحديث، محمد عزت دروزه، القاهرة، دارالكتب العربية، ١٣٨٣هـ.

٢٠. تفسير الروح الخالد، محمد الثقفي الطهراني، طهران، منشورات برهان، ١٣٩٨هـ.

٢١. التفسير العلمي للقرآن، ناصر رفيعي محمدي، طهران، منشورات نشر الثقافة، ١٣٧٩هـ.

٢٢. تفسير الكوثر، يعقوب الجعفري، قم، منشورات هجرت.

٢٣. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، طهران، منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٣٦٨ ش.

٢٤. جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ.

٢٥. جامعيّة القرآن من وجهة نظر الإمام الخميني، فيض إله الأكبري دستك، المجلة الفصلية متين، العدد ٦٧، ١٣٩٤.

٢٦. جامعيّة القرآن، محمد علي الايازي، رشت، منشورات كتاب مبين، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠ش.

٢٧. الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن حبيب الله السبزواري النجفي، بيروت، دار التعارف المطبوعات، ١٤٠٦هـ.

٢٨. الجواهر في تفسير القرآن، الجوهري الطنطاوي، النجف، مطبعة الطليعة، ١٣٧٦هـ.

٢٩. دراسة جامعيّة القرآن في الموقف التفسيري لفخر الرازي والآلوسي، خديجة جشني ماشاء الله، مجلة الالهيّات المقارن، العدد ٣، ١٣٨٩.

٣٠. دراسة في توثيق ودلالة أحاديث (راسخون في العلم)، روح الله اكبر نجاد، المجلة الفصلية للدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والحديث، السنة الثالثة و الأربعون، ٨٧/ ٣، الخريف والشتاء ١٣٩٠.

٣١. دراسة في رؤية صدر المتألّهين الشيرازي في شموليّة القرآن، إبراهيم الجلالي، مجلة العقل والدين، العدد ١٧، ١٣٩٦.

٣٢. دراسة مقارنة للنظرية الشاملة للقرآن من منظر تفسير الميزان، فرزاد اسفنديارى، مجلة التفسير المقارن، العدد ٢، ١٣٩٤.

٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، سيد محمود الآلوسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٤. سنن الترمذي، محمّد بن عيسى، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٥هـ.

٣٥. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، الرياض، دار العصيمي، ١٤١٤هـ.

٣٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج، بيروت، منشورات دار الفكر.

٣٧. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيثمي، القاهرة، مكتبة القاهرة.

٣٨. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.
٣٩. فرائد السمطين، ابراهيم الجويني، قم، مجمع احياء الثقافة الاسلامية.
٤٠. قاموس قرآن، سيد علي أكبر القرشي، طهران، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧١ش.
٤١. القرآن الكريم والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، بيروت، دار الكتب العربي، ١٣٩٣ هـ.
٤٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الاسلاميّة، ١٣٦٢ش.
٤٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس، قم، منشورات الهادي، ١٤٠٥هـ.
٤٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، احمد الثعلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.
٤٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتّقي الهندي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ق.
٤٦. كيفية جامعيّة القرآن في ضوء أقوالِ المفكّرين والمفسّرين المسلمين، حمزة حاجي مهريزي، المجلة الفصليّة المطالعات القرآنية، العدد ١٠، ١٣٩١.
٤٧. لسان العرب، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
٤٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، طهران، منشورات ناصر خسرو، ١٣٧٢ ش.
٤٩. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيشابوري، بيروت، دار المعرفة.
٥٠. المعجم الجامع الحديث، احمد السيّاح، طهران، منشورات اسلام، ١٣٨٦ ش.

٥١. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس، قم، دار الكتب العلمية.

٥٢. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، بيروت، داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٣. مفاتيح الغيب، صدر الدين الشيرازي، طهران، معهد الدراسات والبحوث الثقافية، ١٣٧٣.

٥٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، بيروت، منشورات دار القلم، ١٤١٢ هـ.

٥٥. مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليّ، احمد بن مردويه، قم، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.

٥٦. موسوعة الإمام علي عليه السلام، علي أكبر رشاد، طهران، معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي، ١٣٨٠.

٥٧. نشر التجربة النبويّة، عبد الكريم سروش، طهران، منشورات صراط، ١٣٧٩ش.

٥٨. نظرة للمدارس التفسيريّة، فتح الله النجّار زادكان، قم، منشورات كليّة أصول الدين، ١٣٨٧.

٥٩. نظير القرآن وأهل البيت عليهم السلام، عبدالله الجوادي الآملي، قم، منشورات اسراء، ١٣٩٢ش.

٦٠. نقد المناهج الدلاليّة لكلمة (نحاس) في الآيةِ ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾، فضل الله غلام علي تبار، مجلة التعاليم القرآنية، العدد ١٨، الخريف والشتاء ١٣٩٢.

٦١. نهج البلاغة، الشريف الرضي، قم، منشورات هجرت، ١٤١٤هـ.